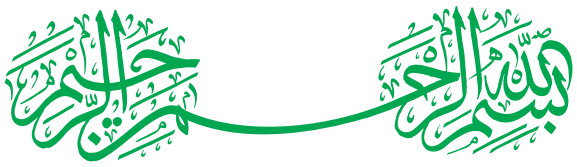

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفِرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سَيِّئاتِ أعمالِنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، نصرَ عبدَه، وأعزَّ جندَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، لا شيءَ قبلَه ولا شيءَ بعدَه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُهُ، بلَّغَ الرسالَةَ، وأَدَّى الأمانَةَ، وجمعَ الأمَّة على كلمةِ التوحيدِ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّم.

أمّا بعد:

فقد كان من دَواعي الأَسَفِ أنه لم يتمَّ خلالَ المُدَّة الماضِيةِ من القرنِ الأخيرِ بروزُ اهتمامٍ واضحٍ بإحياءِ ونشرِ وإِشَاعِة التُّراثِ الخَاصِّ بالمؤلَّفَاتِ المسلماتِ عَبْرَ القرونِ

الأربَعةَ عشَرَ الماضِيةِ من تاريخِ الحضارةِ الإسلاميةِ العريقَةِ، ولم يكنْ هذا الإهمالُ ـ في نظري ـ متعمَّداً، وإنما هو شيءٌ لم تُدْرِكْ أهميتُهُ وضرورتُهُ في بيانِ وَجهٍ منَ الوجوهِ المشرقَةِ النيِّرَةِ لهذهِ الأمةِ المسلمةِ.

أضفْ إلى هذا: أنه لم يتمَّ رصْدُ النشاطِ العِلمِيِّ الذي قامتْ به جَمْهَرَةٌ واسعةٌ من النِّساءِ في التدريسِ والإقراءِ والسماعِ والإجازاتِ، إلى غيرها من طُرقِ تلقِّي العلمِ وتحمُّلِهِ.

وهذا كتابٌ يأتي في هذا النسقِ من الاهتمام، لمؤلِّفةٍ جمعتْ بينَ صَبَا نجدٍ ونسيمِ الحجازِ، فهي زبيريةُ الأصلِ، مكيةُ المُهاجَرِ والوفاةِ، علمٌ من أعلامِ مكةَ، فضلاً عن كونها علماً من أعلامِ حنابلتِها.

وهي: الشيخةُ، الزَّاهِدةُ، العابِدةُ، المحدِّثةُ، الفقيهةُ: فاطمةُ بنةُ حمدٍ الفُضيليةُ، الزبيريةُ، المكيةُ، الحنبَليةُ، المعروفةُ بالشيخةِ الفُضَيليةِ.

ولدتْ في «الزبيرِ» من أعمالِ العراقِ، ونشأتْ بها.

وأخذتْ عن الشيخ إبراهيمَ بنِ ناصرِ بنِ جديدٍ: التفسيرَ،

والحديثَ، والأصلَيْنِ، والفقهَ، وقرأتْ على غيرِهِ كثيراً.

تعلمتِ الخطَّ من صغرها، فأتقنتهُ، وكتبتْ كُتباً كثيرةً في فنونٍ شتَّى، وخطُّها كان معروفاً بأنَّهُ حسنٌ، منوَّرٌ، مضبوطٌ.

جمعتْ كتباً كثيرة جليلةً في سائرِ الفنونِ، ووقَفَتْها على طلبةِ العلمِ من الحنابلةِ.

حجَّت، وزارتِ المدينةَ المنوَّرةَ، ثم رجعتْ إلى مكةَ، وأقامتْ بها، فتردَّدَ عليها غالبُ علماءِ مكة، وسمعوا منها، وأسمعوها من وراء سِتَارة.

وعُرفِ لها من المصنفات: شرحٌ على «صحيح مسلم»[(١)]، وحاشيةٌ على «الرَّوْض المُرْبِع»[(٢)].

---

(١) ذكره ابن بسام في «علماء نجد» (٥/ ٣٦١)، وقال: ذكرَ بعضُ مَنْ ترجم لها من علماء الزبير أنها شرحَت «صحيحَ مسلم»، وأكملته. وانظر: «معجم مصنفات الحنابلة» (٦/ ٩٩ـ١٠٠).

(٢) ذكرها ابن بسام في «علماء نجد» (٣/ ٢٧٠)، وذكر أنها من الكتب المخطوطة في مكتبة «عنيزة»، وأنها نسخة كاملة، وقال: أرجِّح أنها من الكتب الخطية التي جاء بها الشيخ علي المحمد الراشد قاضي «عنيزة»، جاء بها من «الزبير». وانظر: «معجم مصنفات الحنابلة» (٦/ ٩٩ـ١٠٠).

وقد توفيت في مكة المكرمة ليلة السابعِ والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة (١٢٤٧)، رحمها الله تعالى[١][٢].

* أما كتابُها هذا، فهو «مختصرُ الغالبِ من متن دليل الطالب».

بينتْ في مقدمتهِ أسبابَ تأليفِها له، وطريقتَهَا فيهِ، فقالتْ: «فلمَّا رأيتُ الهِمَمَ قد تَقاصرتْ، والرغبةَ تنافرتْ، ووجدتُ أولاداً صغاراً، يميلونَ إلى الكُتُبِ القصارِ، فخطرَ ببالي أن

---

(١) جاء في صدر النسخة الخطية لكتابنا «مختصر الغالب»، بخط خادمتها وجاريتها أمة الله شائعة بنت عبد الله البخارية المكية في تاريخ وفاتها: «انتقلت إلى رحمة الله تعالى ورضوانه عشية هذه الليلة، وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك بعد صلاة التراويح شيخَتُنا الصالحةُ العابدةُ الناسكةُ الزاهدةُ فاطمةُ بنتُ حمدٍ الفضيليةُ الزبيريةُ الحنبليةُ عن عُمْر جاوز الخمسين عاماً، رحمها الله رحمةً واسعةً، وأسكنَها فسيحَ جِنانه، وعَوَّضنا والمسلمين عنها خيراً، وستدفن من صباح الغد في تربة المعلاة عند شعبة النور، في حوطة شيخِها المرحوم محمد صالح الريس، لصيقة قبره ـ رحمه الله تعالى ـ حسب وصيتها، والحمد لله وحده».

(٢) انظر ترجمتها في: «السحب الوابلة» (٣/ ١٢٢٧)، «المختصر من كتاب نشر النور والزهر» (٢/ ٣٣٨)، «علماء نجد» (٥/ ٣٦٠)، «مجلة العرب» (١٢/ ٧٣٣)، «إمارة الزبير بين هجرتين» (٣/ ٩٢)، «معجم مصنفات الحنابلة» (٦/ ٩٩ ١٠٠).

أختصرَ «متنَ الدليلِ» المنسوبَ للشيخِ مَرْعي الكَرْمي، على مذهبِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ؛ لأنَّ مسائلَهُ مجزومٌ بصحةِ الفتوى بها عندَ المرجحينَ من أئمةِ المذهبِ».

وقد سارتْ فيه على طريقةٍ متوسطةٍ جيدةٍ، لكنَّ الأجلَ حالَ بينها وبين إتمام مُرَادِها، فقد توفيتْ قبل إتمامِ العملِ، كما بيَّنَتْ ذلك ناسخةُ هذا الكتابِ خادمتُها شائِعَةُ بنتُ عبد اللهِ البُخَاريَّةُ في خاتمة النسخة، فقالت: «هذا آخرُ ما اختصرَتْه من الكتابِ شيخُتُنا فاطمةُ بنت حمدِ الله الفُضيليةُ، ولم تكمله؛ نظراً لمرضها، عافاها الله وشفاها بحرمة البيت الشريف، وقد نقلتُه عن نسختها التي كتبتْها بخطِّها، وهي المسودةُ التي وصلتْ بها لهذا الموضعِ من أوَّلِ الكتابِ، وكانَ الفراغُ من نقلِهِ ونسخِهِ في اليومِ الرابعِ من شهرِ رمضانَ المباركِ سنةَ سبعٍ وأربعينَ ومئتينِ وألفٍ بأوقاتٍ متفرقةٍ، حسبَ الفراغِ، بمنزلِ الشيخةِ الكائنِ تجاهَ الحرمِ الشريفِ، عند باب الزيارَةِ، بمكةَ المكرمةَ، بيدِ شائعةَ، تجاوزَ الله عنها بجودِهِ وكرمِهِ، وأرجو ممن اطَّلَعَ أو قَرَأَ هذا الكتابَ أن يتجاوزَ عن زَلاتي في الكتابةِ، وأن يدعو لي بالشِّفَاءِ؛ لأنني كتبتُهُ بيدي اليُسرى لحادثٍ أصابَني بيدي

اليُمنى، واللهُ المستعانُ، والحمدُ للهِ وحدَهُ».

❊ ❊ ❊

❊ **ولقد وفقني الله تعالى للحصولِ على النسخة الخطِّيةِ الفريدةِ لهذا الكتابِ** من مكتبةِ أحدِ تُجَّارِ المخطوطاتِ بدمشقَ، حيث نالَهُ نصيبٌ من مكتبتِها التي انتقلتْ من الزبيرِ إلى دمشقَ، ثم تفرقتْ بأيدٍ مختلفةٍ ـ جزاهُ اللهُ خيراً، وجعَل ذلك في ميزانِ حسناتِهِ يومَ يلقاهُ ـ.

❊ **وقد تمَّ العملُ في تحقيقِها:** بضبطِها بالشكلِ الكاملِ، وتفصيلِها، وترقيمِها، والعنايةِ بتفقيرِها؛ مع التقديمِ لها، والفَهْرَسةِ الشاملةِ لموضوعاتِها.

❊ **هذا** وَأَسألُ الله تعالى أن يجعل فيها النفعَ والخيرَ والبركةَ، وصلى الله على نبينا محمدٍ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.

وَكَتَبَهُ

نور الدّين طالب

دومة ـ دمشق

١٢ ربيع الأول ١٤٢٧